

جدلية المجال، الهوية والحق في المدينة

من منظور هنري لوفيفر

The Dialectics of Space, Identity, and the Right to the City: A Henri Lefebvre Perspective

مريم بن زادري^{1*}

Meriem BENZADRI^{1*}

¹ جامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر، (الجزائر)، meriem.benzadri@univ-constantine3.dz

تاريخ الإرسال: 2026/03/19 تاريخ القبول: 2026/05/19 تاريخ النشر: 2026/06/11

ملخص:

يستعرض هذا المقال علاقة الفرد بالمجال المعاش، وأهمية انسجام المجال الاجتماعي مع تطلعات الأفراد وانعكاس ذلك على الهوية، وتهدف الدراسة إلى تحليل العلاقة القائمة بين ثلاثية المجال، الهوية والحق في المدينة من منظور هنري لوفيفر. خلصت الدراسة إلى أن هذه الثلاثية هي في علاقة ترابطية بحيث يمثل المجال بيئة لتكوين الهوية التي بدورها يمكن أن تكون سببا في المطالبة بالحق في المدينة إذ أُفرغت من محتواها الاجتماعي. الكلمات المفتاحية: المجال، الهوية، الحق في المدينة.

Abstract:

This article examines the relationship between individuals and lived space, focusing on how the social realm aligns with personal aspirations to shape identity. It analyzes the tripartite nexus of space, identity, and the 'Right to the City' from a Lefebvrian perspective. The study concludes these elements are interconnected; space fosters identity, which becomes a catalyst for reclaiming urban rights when alienated from its social essence.

Keywords: space; identity; The Right to the City.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة

إن شكل المدينة لا يعبر فقط عن نمط البناء وشكل البيوت أو المنازل ومختلف الهياكل ولا حتى تقسيم الشوارع والأحياء بل يتعدى الأمر ذلك الى كون ذلك الكل هو الوعاء الذي يحتوى الأسر والعائلات وهو المكان الذي تحدث فيه جملة التفاعلات والسلوكات الاجتماعية الخاصة بقاطني ذلك المكان وكل رواده.

ينتج عن البناء العشوائي ومختلف أشكال النمو الحضري غير المخطط العديد من الآثار الاجتماعية التي تختلف عن تلك التي تختص بها المدن الجديدة أو المدن القديمة أو المدن الحضرية المخططة، وذلك مرتبط بطبيعة الحال بالتخطيط المكاني للمدينة ونمط السكن والبيئة الاجتماعية بصفة عامة.

فالنسيج الاجتماعي في المدن الحضرية في الحقيقة يتأثر بالمكان والزمان، من حيث الاستغلال الاجتماعي للمكان أو المجال المعيشي، ومن حيث تشكيل الهوية الفردية او الجماعية، إذ يعتبر الفرد مدينته أو حيه أو بيئته بشكل عام جزءا لا يتجزء من حياته اليومية، كيف لا وهو يمارس معظم نشاطاته وتفاعلاته وعلاقاته في ذلك المجال وبذلك الطريقة المعتادة.

في الحقيقة، إن أي حديث عن المدن الحضرية واشكالية المكان والهوية يجرنا للحديث عن العالم والسوسيولوجي (هنري لوفيفر Henri Lefebvre 1901-1991) إذ تخصص في سوسيولوجيا المجال، هذا العالم تخصص في دراسة المدينة بوصفها وصفا حديثا وكان ذلك من خلال مؤلفاته "الحق في المدينة Le droit à la ville" سنة 1968، "إنتاج المكان Critique de la vie quotidienne" سنة 1974، "نقد الحياة اليومية La production de l'espace"، إذ يعتبر هذا المرجع الأخير هو الرابط بين الفلسفة المجردة والواقع المعاش للفرد في المدينة.

حاول هنري لوفيفر من خلال كتاباته التنويه بضرورة استعادة الفرد لدوره في تشكيل محيطه الحضري، حيث كان رافضا لفكرة المدينة المثالية، واستبدال المدن غير المخططة بمدن جديدة مفرغة من محتواها الاجتماعي تعوض الاختلاف بالتميط، وتستبدل الهوية بالاغتراب، وتحويل المجال الاجتماعي إلى مجال مادي استثماري.

من خلال ما تقدم، يمكن بلورة التساؤل المحوري الذي تصبو إليه هذه الورقة البحثية للإجابة عليه، والذي مفاده:

- فيما تكمن جدلية المجال، الهوية والحق في المدينة عند السوسيولوجي هنري لوفيفر؟

للإجابة على هذا التساؤل، سيتم التركيز على أهم الأفكار التي رسمها لوفيفر حول المكان والهوية والحق في المدينة، وذلك من خلال عرضها وتحليلها لنصل في الأخير إلى تحليل العلاقة بين ثلاثية المكان، الهوية والحق في المدينة.

2. المجال

في الحقيقة يحضى المكان الاجتماعي أو المجال الاجتماعي بالكثير من الاهتمام من قبل علماء الاجتماع، وبالعديد من الدراسات المتخصصة التي تصبوا إلى معرفة التأثير والتأثر بين المكان وقاطنيه سواء أفراد أو مجتمعات.

فقد كانت الدراسات حول هذا الموضوع تتمركز في البحوث الجغرافية أو البحوث الهندسية أو بعض التخصصات المشابهة، لكن بعد أن تم تناول هذا الموضوع بطريقة سوسيولوجية فإن الأمر أخذ بعدا آخر، بعدا يدرس علاقة الفرد والمجتمع بالمكان، وبعدا يركز على المكان أو المجال من خلال شكله الاجتماعي والاقتصادي والإيديولوجي. وهذا ما تمخض عنه العديد من المقاربات والنظريات التي ذهبت لأبعد من التركيز على البعد المادي للمجال

أو المكان، بل التركيز كان ينصب حول البعد الاجتماعي للمجال أو المكان، وقد كانت أبرز النظريات والمساهمات في هذا الموضوع من نصيب السوسيولوجي هنري لوفيفر.

يعتبر لوفيفر أن المكان الاجتماعي أو الفضاء الاجتماعي ليس مجرد وعاء أو مجال مادي يحتوي مجموعة من الأسر والعائلات في أماكن محددة، بل إن الأمر أعمق من ذلك، حيث أن الفضاء الاجتماعي هو في الحقيقة نتاج للمجتمع الذي يقطنه، وهو مكان يطبعه طابع المجتمع من حيث ثقافته وهويته وقيمه وعاداته وسلوكاته، وفي الوقت ذاته يقوم هذا المكان أو المجال بإعادة تشكيل تلك القيم والثقافات والسلوكات... الخ.

من أبرز مؤلفات هنري لوفيفر كتاب "إنتاج المجال"، الذي نشر سنة 1974، هذا المؤلف الذي طرح فكرة أنه لا بد من تغيير النظرة إلى المكان أو المجال على أساس أنه رقعة جغرافية، أو مكان فيزيقي يحوي مجموعة معينة من الأفراد، بل إن المجال الاجتماعي هو وعاء ثقافي بامتياز (الخلافه، 2025)

لقد نادى لوفيفر بأن علم الاجتماع لا يجب ان يكتفي بدراسة المجال، بل يجب أن يتعمق في دراساته إلى كيفية إنتاج المجال، وذلك على اعتبار ان المكان أو المجال بالنسبة للأفراد والأسر والمجتمعات هو المكان الذي تحدث فيه التفاعلات الاجتماعية وتتشكل فيه العلاقات الاجتماعية والتي تكون في شكل سلوكات تتأثر بالمكان وتؤثر فيه على حد سواء.

بالتالي لا يمكن دراسة الظاهرة الاجتماعية بمعزل عن مجالها الذي حدثت أو تحدث فيه، كون ذلك المكان أو المجال هو في الحقيقة نتاج لتاريخ معين وتمثلات لأدوات السلطة، ونمط إنتاج معين، مما يؤدي لإمكانية القول أن المجال أو المكان عند لوفيفر هو نطاق اجتماعي سياسي ثقافي اقتصادي إيدولوجي لا يمكن تفكيكه أو دراسته بشكل جزئي.

تبرز أبعاد نظرية لوفيفر حول المجال فيما يلي:

1.2 المجال المعاش L'espace vécu:

للمجال المعاش مرادفاً متمثلاً في مجال التماثلات ويقصد به المجال الثقافي الذي يوصف من خلال صورته ورموزه، بعبارة أخرى، المجال المعاش هو تلك الرقعة الجغرافية التي يمارس فيها الأفراد حياتهم اليومية من خلال مجموعة من السلوكيات والعلاقات الاجتماعية التي تنشأ بينهم في نطاق بيئتهم.

يعتبر هذا البعد مهماً جداً عند لوفيفر، حيث يرى أن الشعور بالانتماء لمكان أو مجال معين يتمثل في العلاقة الوجدانية بين الفرد وبيئته المعيشية، وكيف يرتبط بها وينسجم فيها لدرجة إحساسه بأن حتى الأماكن العمومية في بيئته أو مجاله هي امتداد لسكنه الخاص. فالمكان أو المجال الاجتماعي بالنسبة لمفكرنا هو مستودع للرموز واللغة والصور (رباص، 2024). لقد مثلت هذه النقطة بالذات مركز الاختلاف بين أفكار لوفيفر وأفكار باقي المفكرين الذين اهتموا بدراسة المجال، حيث تفرد لوفيفر بنظريته للمجال كبعد اجتماعي وليس كبعد مادي يعتمد على التفصيل في التموقع الجغرافي والمساحة ونوع البنيات... الخ.

2.2 المجال المصمم L'espace conçu:

إن المجال المصمم عند لوفيفر هو ما يُعبر عنه بتماثلات المجال، أي مجموعة الخطط والتصاميم الهندسية التي يضعها المهندسون المعماريون والمختصين في التصميم والتشريع الحضري للمدن.

يتسم المجال المصمم بالطبيعة الموضوعية على عكس المجال المعاش الذي يتسم بالطبيعة الذاتية، حيث يعبر التصميم عن الموضوعية والحياد، لكن لوفيفر كشف أن المجال المصمم هو في الحقيقة يقع تحت وطأة إعادة إنتاج علاقات الإنتاج الرأسمالي، وبالتالي هو فرص تصور النظام للأفراد وللمجال معا (الخلافة، 2025)

يعد المجال المصمم جزء من ثلاثية هنري لوفيفر حول إنتاج المجال، وهو مجال قد يتعارض في الكثير من الأحيان مع المجال المعاش بسبب التناقضات بين التخطيط والتصميم وطرق العيش اليومية للسكان من أفراد وأسر ومجتمعات.

وهذا بالضبط ما يثير القلق عند المفكر لوفيفر حيث يعتقد أن التخطيط المستنسخ أو غير المناسب يعمل على تغيير نمط الحياة والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية ومختلف السلوكيات التي كانت من شأنها أن تطبع المجال بطابع اجتماعي يشبه ساكنيه.

3.2 المجال المدرك L'espace perçu

المجال المدرك هو المجال المفهوم أو المحسوس أو كما يعبر عنه بالممارسة المجالية، أي حيث ينتج الناس مجالاتهم عبر ممارساتهم اليومية، قد يتمثل المجال المدرك في الشوارع والمسارات الحضرية وأماكن الترفيه الخاصة بالصغار وأماكن الراحة أو المساحات الخضراء، كل ذلك يعتبر مجال مدرك عقليا بالنسبة للأفراد والعوائل.

المجال المدرك يشير في معناه إلى الحياة اليومية المعيشية الاعتيادية، أو ما يعبر عنه بالواقع الاجتماعي (الكعشمي، 2024)

3. الهوية

قد يبدو غريبا ادراج مفهوم الهوية بين بعد المكان أو المجال وبين الحق في المدينة، لكن بالرجوع لما جاء به لوفيفر، نجد انه يرى بأن الهوية تتشكل ضمن المجال الاجتماعي، بالتالي هي ليست ثابتة، وإنما عملية ديناميكية.

تشير الكثير من الدراسات أن الهوية هي عنصر يمتلكه الجميع أو يجب أن يمتلكه أو يسعى لامتلاكه (بغورة)، ذلك كون الهوية تنشأ على صعيدين: الفردي والاجتماعي، مما ينتج هوية فردية وهوية اجتماعية. هذه أكثر فكرة اتفق عليها المفكرين والفلاسفة، ووجدوا أن الفرد تتشكل لديه هوية فردية تبنى من خلال التنمية الذاتية التي ترسم ملامح لذواتنا

ولعلاقتنا بالعالم المحيط بنا، وهوية اجتماعية حيث تتضمن تصورا وتجانسا للروابط الاجتماعية.

لم يذهب لوفيفر بعيدا عن هذا الطرح، فقد أكد على ان الهوية متغيرة وغير ثابتة، حيث تتشكل من خلال المجال الجغرافي والمجال الاجتماعي، بالتالي الهوية عنده مرتبطة بالتموضع المكاني، وبالتالي هي صورة أو رمز للتفاعلات والعلاقات الاجتماعية القارة بالمكان أو المجال الاجتماعي.

يعتبر لوفيفر أن الفرد يعيش حالة اغتراب في حال نقله من مكان إلى مكان، ويؤثر ذلك مبشرة على هويته الفردية أو الجماعية، وأن هذه الهوية تتنوع حسب المكان أو المجال (إن كان مدركا أو معاشا أو مصمما) ، فتكون هوية مضموعة في الفضاء المصمم، وهوية متحررة في الفضاء المعاش وهوية يومية في الفضاء المدرك.

4. الحق في المدينة

يعتبر الحق في المدينة عنوانا لأحد الكتب التي أنجزها هنري لوفيفر سنة 1960، حيث كانت فكرة الحق في المدينة ناتجة عن الاضطرابات والمطالبات بالعدالة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية في توزيع الحقوق بين جميع سكان المدينة بالعدل.

فالمدينة عند لوفيفر هي مركز الحياة الاجتماعية الاقتصادية السياسية والثقافية للسكان (موسى، 2019)، وهي من وجهة نظره تتعدى حدود البنايات والهياكل وشكلها الخارجي الجامد، بل هي في الحقيقة مجال للنشاط والتفاعل الاجتماعي في شتى المجالات، سواء تعلق الأمر بالأنشطة الثقافية، الاقتصادية، السياسية والاجتماعية، كل ذلك يطبع المدينة بطابع حيوي محدد يجعلها لا تشبه مدن أخرى.

في تعريف اللوفيفر حول المدينة "إن المدينة مثل الأثر الفني، أكثر من إنتاج مادي. إذا كان هناك إنتاج للمدينة، وللحقوق الاجتماعية في المدينة، فإنه إنتاج وإعادة إنتاج

لكائنات بشرية بواسطة إنتاج كائنات بشرية أكثر منه إنتاج أشياء، المدينة لها تاريخ: إنها عما أشخاص وجماعات محددة تحقق هذا العمل ضمن شروط تاريخية"

على العموم، ركز هنري لوفيفر على هذه الأبعاد:

4-1 المدينة كعمل فني وليس كسلعة:

من الجيد أن ينظر للمدينة كهيكل فني لا كسلعة، وبالتالي من الجيد أن يتشارك قاطنيها الخطط والتصاميم ليكون المجال أو المدينة مكانا آمنا ومستقرا بالنسبة لهم.

4-2 حق المشاركة:

وذلك من خلال إشراك السكان في اتخاذ القرارات التي تخص أحيائهم ومدنهم من جهة، وحق السكان في استخدام مجالهم الحضري بطريقة تلبي احتياجاتهم وتطلعاتهم الاجتماعية والإنسانية.

4-3 القيمة الاستعمالية لا التبادلية

تعتبر القيمة الاستعمالية عن الفائدة الاجتماعية والإنسانية التي يتلقاها ساكني المكان أو المدينة، أما القيمة التبادلية فهي متمثلة في سعر العقار أو سعر المتر المربع الخاص بالسكن.

4-4 نقد التخطيط العقلاني

إن أهم ما أشار إليه لوفيفر في هذا البعد بالذات هو ما أطلق عليه "بمدن النوم"، وهي تلك المدن الجامدة ومفرطة التنظيم، بل واعتبرها فوضى منظمة تقتل روح الفرد وروح الحياة الاجتماعية، لأنه يؤمن بأن الحياة الحضرية الحقيقية تتواجد في ظل اللقاء والاختلاط والتفاعل الذي يخلق العلاقات الاجتماعية.

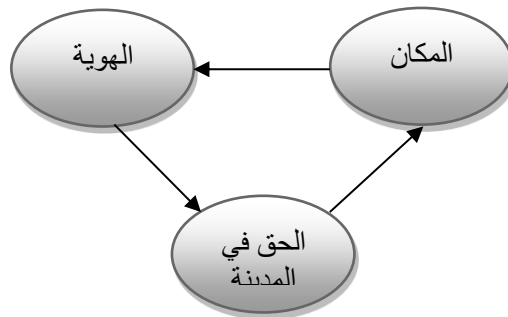
5. تحليل العلاقة بين المكان، الهوية والحق في المدينة

إن التركيز على هذه الأبعاد الثلاث في المجال السوسيولوجي ليس بالأمر العشوائي، إنما يركز على هذه الأبعاد بالذات لأنها تشكل المحور الحيوي الديناميكي الذي ينشط فيه وبه الفرد والمجتمع، فلا يمكن تخيل مجتمع بدون هوية أو مجال اجتماعي أو مدينة، كما وأنه لا يمكن تخيل مجال اجتماعي أو هوية أو مدينة بدون أفراد أو مجتمع. وتتجلى هذه العلاقة في مستويين أحدهما إيجابي والآخر سلبي:

- الإيجابي: يكون إذا ما توفرت ظروف إشراك الأفراد والمجتمعات في تخطيط مدنها وأحيائها وشوارعهم وفضاءاتهم العامة، ومنحهم الحق في الاختلاف، في العيش بطريقة غير نمطية بعيدة عن الفوضى المنظمة كما أسماها لوفيفر.
- السلبي: يكون باستبعاد الجانب الاجتماعي في التخطيط والتصميم، بتهميش الخصائص المجتمعية ونمط العيش، بمحاولة خلق مدن مثالية أو مدن نمطية أو مدن ذكية تهدم الهوية الفردية والمجتمعية وتعزز الاغتراب.

إن العلاقة بين ثلاثية المكان، الهوية والحق في المدينة إنما هي في الحقيقة علاقة مترابطة بحيث يمثل كل بعد فيها سبب لحدوث البعد الآخر بنفس الترتيب التي تم عرضها في هذه الورقة البحثية، وقد يكون ذلك أكثر وضوحا في الشكل الموالي:

الشكل رقم 01: العلاقة بين المكان، الهوية والحق في المدينة عند لوفيفر



المصدر: إعداد الباحثة

إذا يبدو أن المكان هو المجال الاجتماعي الذي تمارس فيه الهوية الفردية أو الجماعية، وهو نفسه المكان الذي إذا أصبح مجال للإستثمار المادي ستتأثر الهوية وقد تفقد معناها الاجتماعي، حينها يتشكل ضغطا نفسيا واجتماعيا تصطحبه مجموعة من المطالب أهمها الحق في المدينة واستعادة المكان والهوية.

6. خاتمة

قد يكون من الغريب أن نقول بأن تبني المدن النمطية وكثرة التنظيم فيها وكثرة التجمعات السكانية التي تغيب فيها مساحات خضراء ومساحات اللعب واللهو للأطفال ومساحات خاصة بالسكان هي في حقيقة الأمر مدن قاتلة للحياة الاجتماعية ومدن مخلة بالتوازن الاجتماعي ولا تشجع على التفاعلات الاجتماعية وبناء العلاقات الاجتماعية بقدر ما تعزز الاغتراب الاجتماعي والطمس الهوياتي، وهنا يمكن القول أن كثرة التنظيم في تخطيط المدن الحضرية بدون الرجوع إلى الجانب الاجتماعي لسكانها وخصوصياتهم كأسر وعائلات وثقافتهم في طرق العيش قد يصبح لا محالة تنظيم فوضوي، أي تنظيم لا يخدم المجتمع وإنما تنظيم يعقد الحياة الاجتماعية ويحدها ويقتل مختلف السلوكات الايجابية والتفاعلات الفاعلة داخل المجتمع وبالتالي يصبح مكان مجرد من مجاله الاجتماعي.

إذا كانت الفوضى العمرانية هي نتيجة لمحاولات بعض الجماعات أو المجتمعات لاستعادة حقهم في السكن في المدينة، إن الحل أكيد لا يكمن في استبدال هذه الأماكن بالكتل الإسمنتية والجدران العالية، بل في الحفاظ على نظام تشاركي يحفظ نظام المدينة ويحافظ على نمط عيش سكانها، حتى لا تتأثر هوياتهم الفردية أو الجماعية، وحتى لا يشتكون من الاغتراب الذي يولد مشاكل اجتماعية خطيرة.

من خلال ما تقدم، يمكن الاستعانة ببعض التوصيات التي قد تحد من أومة الفرد والمجتمع بالمدن المخططة والمنمطة، وهي:

- ضرورة التخطيط التشاركي، وعدم الاكتفاء بالتقنيين والمصممين للمدن فقط، بمعنى إشراك أطراف متخصصة في المجال الاجتماعي الحضري.
- أهمية التخطيط للأماكن العامة وعدم التفكير فيها بالمنطق الربحي فقط، بل ضرورة تقديم المنطق الاجتماعي وأهميته في رسم المعالم الاجتماعية للمكان.
- تحويل العشوائيات إلى أحياء منظمة مع الحفاظ على الروح الاجتماعية لسكانها
- الحرص على تمكين المجتمع من الحصول على أماكن عيش توفر مجال اجتماعي منسجم مع طبيعة الحياة اليومية.
- الاهتمام بالجانب الثقافي والاجتماعي في التخطيط العمراني.

7. الهوامش والمراجع

- ¹ أحمد رباح. 2024. كيف قاربت الفلسفة الوضعية المسألة الدينية؟ أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان. www.anfasse.org
- ² الزواوي بغورة. دون سنة، خطاب الهوية في الفكر الفلسفي المعاصر. العربي. <https://alarabi.nccal.gov.kw>
- ³ سرير أحمد بن موسى. 2019. هنري لوفيفر: من الحق في المدينة إلى هرمينوطيقا المدينة. مجلة مواقف للبحوث والدراسات المجتمع والتاريخ. المجلد 15. العدد 02. ص 245.
- ⁴ عثمان لكعشمي. 2024. المجال السوسيولوجي مجال علماء الاجتماع. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. <https://www.mominoun.com/articles>
- ⁵ علي الخلافة. 2025. سوسيولوجيا المجال الاجتماعي رؤى وتقاطعات. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. <https://www.mominoun.com/articles>